العمل الحر بدل التهافت على وظائف الحكومة

بقلم الأستاذ عريان سعد

[القيت هذه الكلمة من محطة الإذاعة اللاسلكية]

بينت فى كلمة سابقة بعض أبواب الربح الوفير الذى يدره العمل الحر وضربت لذلك مثلا إصلاح السيارات وكيف أن هذا العمل وحده يدر فى القاهرة وحدها نحو مليون من الجنيهات فى العام وكيف أن خريجى كلية الهندسة وخريجى مدارس الصناعات الهندسية لا يجعلون من هذا العمل باب رزق بل طريق ثراء لهم وهم أحق الناس بالقيام به .

ولقد قلبت وجوه هذه المشكلة حتى أقف على سرها وأصل الى حلها صحيح أن لرأس المال أثرا لا ينكر فى كل عمل ، ولكن هل رأس المال هو الذى يحول بين خريج الهندسة وهذه الصناعة صناعة إصلاح السيارات .

لايحتاج من يريد أن يقدم على هذا العمل الى رأس مال كبير ولا صغير فكل مايحتاج اليه قطع رخيصة من مفاتيح ومفكات ، وكلنا يرى ورش إصلاح السيارات ليس فيها ما يحتاج الى رأس مال يتجاوز بضعة جنيهات وكل مايحتاج اليه هو خبرة صاحب الورشة الذى يتبين عيب السيارة ويشير على الصناع بما يعملون .

السر إذن ليس قلة رأس المال والدليل على ذلك أيضا أنه ليس من المعقول أن كل خريجى كلية الهندسة من الفقراء المعدمين فإن بينهم من غير شك كثيرون من أولاد الموسرين فإن كان رأس المال هو العقبة فلم ينزل أولاد الموسرين من خريجى كلية الهندسة الى ميدان العمل الحر وقد توفر لديهم رأس المال إن كان رأس المال هو العقبة فى سبيل من يريد اختيار هذه الصناعة .

لعل السر أن وظيفة الحكومة أكثر ربحا ؟ ولكن هذا أيضا غير الواقع فإننا نرى من خريجى الهندسة من يقبل العمل باليومية بأجر قدره أربعون قرشا فلا يزيد راتبه على عشرة جنيهات مع أن صاحب أصغر ورشة من ورش إصلاح السيارات لا يقل ربحه عن ضعف هذا القدر الزهيد .

وإن قلنا لعله مركز الموظف الحكومى الممتاز ولكننى إن سلمت جدلا بأن للمهندس الرى مركزا أدبيا بالنسبة لما له من نفوذ فى توزيع الماء ولما له من سلطان على من يتبعه من عمال الرى فأى مركز أدبى لمن يعمل باليومية من خريجى الهندسة وقد جرد من السلطان الموهوم ؟

ليس مركز موظف الحكومة هو الذى يغرى خريجى كلية الهندسة بالصغير من وظائف الحكومة .

ليس إذن الحاجة الى رأس المال ولا وفرة الربح ولا المركز الأدبى ليست هذه الأشياء هى التى تغرى خريج الهندسة بوظائف الحكومة وتصرفه عن العمل الحر الذى ضربت له المثل بورشه لإصلاح السيارات .

إذن لابد وأن يكون السبب فى الخريج نفسه فما هو ؟

قال الذين حاولوا علاج هذه المشكلة أن شبابنا ينقصه الاعتماد على النفس وحب المغامرة ويجب أن نخلق فيه هاتين الصفتين .

أما أنا فأقول أن ينقصه شىء واحد وهذا النقص هو الذى يصرفه عن هذا العمل الحر.

أتدرى أى شىء هو الذى ينقصه ؟

ينقصه الأساس الذى تبنى عليه الورشة ، تنقصه الخبرة فانه آخر شىء يفكر فيه بطبيعة الحال هو أن يفتح ورشة لإصلاح السيارات .

ولعلك تعجب حين أقرر ذلك كيف أن مهندسا يتخرج من كلية الهندسة لا يعرف كيف يصلح السيارة المعطلة .

ولكن معذور .

برنامج الدراسة فى كلية الهندسة كفيل بأن يخرج مهندسا عالما بتصميم الآلات ورسمها أى أنه خبير بتشريح السيارة وخبير يعلم وظائف الأعضاء فيها شأنه فى ذلك شأن طالب الطب يدرس التشريح ويدرس علم وظائف الأعضاء .

أما الأهم وهو الأمراض وتشخيصها وعلاجها فما لم يدرسه طالب الهندسة اللهم إلا دراسة نظرية .

ولكى أقرب إلى الأذهان عيوب البرنامج الحالى أضرب مثلا بكلية الطب وقد جردناها من مستشفى قصر العينى واستعضنا عن الألف مريض الذين يعالجهم الطلبة والأساتذة بخمسة أو ستة من المرضى المزمنين يوضعون فى خمس غرف أو ست فيمر بينهم الأستاذ والطلبة يشرح الأستاذ أمامهم أعراض المرض وعلاجه ثم ينتهى بهم الأمر عند هذا الحد .

لو أن هذا هو الحال فى كلية الطب فماذا تكون حال الأطباء المتخرجين منها ؟ أؤكد لكم أنهم كانوا يخرجون عالمين بأجزاء الجسم عالمين بما يعيبه من أمراض ولكنهم ما كانوا يستطيعون تشخيص مرض أو إجراء عملية جراحية .

وهذا هو الحال فى كلية الهندسة .

فيها بضعة آلات قديمة و بضع سيارات تفك وتركب كل عام مثلها فى ذلك مثل المريض المزمن الذى ضربت به المثل يمر به الطلبة دفعة بعد دفعة فلا يرون غيره ولا يعرفون من الأمراض على تنوعها غير مرضه .

المهندس طبيب السيارة أو الآلة التى يطلب لإصلاحها ، فان لم يكن قد رأى مئات السيارات والآلات المعطلة و إن لم يكن قد باشر إصلاح تلك المئات أو حضر بنفسه مباشرة إصلاحها فلن يستطيع أن يصلح السيارة أو الآلة ولن يقدم على التعرض لاصلاحها لأنه واثق من عجزه عن القيام بذلك الإصلاح و يتنحى عنه ليتجو بنفسه من خزى الخيبة .

وهو معذور فانه لا يعلم إلا ما علم ولم يعلم إلا قليلا .

ليس هذا طعنا فى المهندسين فان الذى يعلمونه أجل بكثير من إصلاح السيارة لأنهم يعلمون كيف يصنعونها وكيف يصممونها و يصممون غيرها من دقيق الآلات .

وليس هذا طعنا فى كلية الهندسة فانها تعلم ماهو أجل من إصلاح السيارة إنها تعلم أسرار الصناعة والابتكار .

إنما الذى أريده بهذا القول هو أن نوجه قليلا من الاهتمام بتعليم التصميم والرسم وأن تكثر من الاهتمام بالإصلاح والترميم فليست لدينا مصانع لانتاج السيارات فى حاجة إلى مهندسين للرسم والتصميم والابتكار ، أما الذى عندنا فهو سيارات تستعمل فيصيبها التلف فتحتاج إلى الإصلاح وعندنا آلات تستعمل فتتلف فتحتاج إلى الإصلاح وجدير بمهندسينا أن يعلموا وسائل الإصلاح وطارقه ما دمنا نستورد السيارات جاهزة من الخارج .

فإذا أنشأنا مصانع السيارات وصدرناها إلى الخارج أصبحت حاجتنا إلى المهندس الذى يتخرج الآن من كلية الهندسة أكثر من حاجتنا إلى المهندس الذى لا يتخرج منها الان .

ولست أطالب كما يطالب غيرى تعديل برامج التعليم وأترك هذا التغيير الذى أطالب به منهما غير محدد .

إنما أنا أطالب بأن تكون ورش اصلاح سيارات الحكومة وموتوسكلاتها من كلية الهندسة بمثابة قصر العينى من كلية الطب .

يجب أن يصلح الطلبة سيارات الحكومة وموتوسيكلاتها بأيديهم كما يعالج طلبة الطب مرضى قصر العينى بأنفسهم .

سيقال إن كلية الهندسة فى ناحية وورش الحكومة فى ناحية ونقل الورش أو نقل الكلية يحتاج إلى مبلغ ضخم لا تتحمله الميزانية و إن تحملته حالت صعوبة الحصول على أدوات البناء والتأثيث دون ذلك .

ولكننى اقترح أن يتوجه طلبة كلية الهندسة قسم الميكانيكا الى الورش أياما معينة فى الأسبوع حيث يقومون بالدراسة العملية . بهذا وحده يتخرج المهندس وقد أصبح كالطبيب المتخرج من كلية الطب له إلمام بتشخيص المرض ووصف الدواء و إجراء العمليات الجراحية الصغيرة طبعا فى أول عهده بالطب ثم يتدرج مع الزمن .

إذا أدخلنا هذا التعديل على القسم الميكانيكى و إذا أدخلنا مثله على قسم العمارة بأن جعلنا مبانى الحكومة ومبانى كبار المقاولين مكانا لعمل الطلبة وجزءا من دراستهم وفرضنا على المقاولين قبولهم كما يفرض على أصحاب الأجزخانات قبول طلبة الصيدلة يتمرنون عندهم على التذاكر الطبية .

إذا أدخلنا هذا التعديل على برامج الدراسة فى كلية الهندسة خرج المهندس منها متجها الى العمل الحر استغلالا لعلمه وخبرته وارتكانا عليهما بعد أن كان يفر من هذا العمل خوفا من جهله به .

وما قلته عن السيارات أقوله عن أجهزة الراديو ، فطلبة كلية الهندسة يدرسون الراديو دراسة علمية عميقة ولكن واحدا منهم لا يجسر على أن يفتتح ورشة لإصلاح الراديو رغم ما تدر هذه الصناعة هى الأخرى من ربح والسر فى هذا هو نفس ما قدمنا عن السيارات .

والعلاج هو نفسه ولكن وجود ورشة بسيارات الحكومة وموتوسكلاتها يجعل العلاج فى الحالة الأولى أسهل منه فى هذه الحالة ولكن فرض طلبة قسم الكهرباء على ورش إصلاح الراديو كما يفرض طلبة الصيدلة على الأجزخانات فيه العلاج الكافى .

لم أقصد من هذا الحديث شغل حيز من صفحات المجلة و إنما قصدت به توجيه النظر إلى حالة تتمنى جميعا زوالها هى أحجام خريجى الجامعة عن مزاولة العمل الحر فاخترت طلبة الهندسة وعالجت حالتهم بما قدمت وعسى أن يصادف هـذا العلاج استعدادا للانتفاع به ولى فى علاج خريجى التجارة والزراعة رأى عسى أن أتمكن من تسجيله .

عريان يوسف سعد